



## استقبال أعضاء لجنة الفلاحة والإصلاح الزراعي والثروة الحيوانية

استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الذي كان محفوفاً بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، بالقصر الملكي بمراكش أعضاء لجنة الفلاحة والإصلاح الزراعي والثروة الحيوانية بمجلس النواب وترأس جلسته عمل معهم. وبهذه المناسبة ألقى العاهل الكريم الكلمة التالية:

حضرات السادة :

لا أحد في المغرب يجهل تعلقنا بالفلاحة ورجال الفلاحة . وهذا التعلق بالفلاحة ما هو في الحقيقة، من طرف المغاربة كلهم إلا انعكاساً لتلك الوثنية الوطنية التي تجعل الرباط والارتباط بالأرض من المقدسات التي ورثناها أبا عن جد في هذا البلد الميمون .

وقد أردنا أن نجتمع بكم - أنتم أعضاء اللجنة الفلاحية في البرلمان - لننظر معكم في ما يجب أن يتخذ من تدابير عاجلة وتدابير مستقبلية لتلافي ما يمكن أن يكون لتأخر نزول الأمطار من نتائج وخيمة على جميع المستويات في العالم القروي؛ لأن العالم القروي كما تعلمون - حفظكم الله - ليس معناه العالم الفلاحي فقط، بل إن العالم القروي هو قبل كل شيء، الأسرة التي تعيش إما مباشرة من البادية أو بكيفية غير مباشرة منها، وهنا نرى أنه يجب إدخال نوعيات متعددة من البشر حتى تتمكن من إعانة كل نوعية من النوعيات بما يجدر بها وبما يكون ملائماً لها . فالعالم القروي فيه الفلاحون الكبار والمتوسطون والصغار وفيه أيضاً مربو الماشية من كبار ومتوسطين وصغار، وحتى في الماشية هناك أنواع من نشاط الماشية إما للتربية فحسب، أو للتربية والتسويق في آن واحد .

وفي عالم البادية هناك جميع الذين ينتعشون بالأنشطة المختلفة لأهل البادية وهناك كذلك في البادية أنواع وأنواع من الفلاحة منها ما هو موجود بالساحل ومنها ما هو موجود بالأراضي الصحراوية ومنها ما هو مطابق ومناسب للمساحات السقوية وفيها أيضاً ما هو جبلي وما هو غللي وما هو حبوب وما هو بواكر وما هو خشب وحطب وفيها ما هو كلاً ومرعى، بحيث إذا أردنا أن نعدد أنشطة الفلاح ومن يعيش مباشرة من خيرات الفلاحة ومن يعيش منها وبكيفية غير مباشرة، نرى أن السجل سيضيق، ولكن نرى كذلك أن المهمة جد واسعة الأطراف ومتعددة النوعيات ومختلفة التدخلات . لا أقول نظراً لهذا الحجم أنها مستحيلة، أبداً، بالعكس . . . يجب علينا في حالة الجفاف هذه، أن نولي اهتمامنا الأكبر والأول لحالة البادية لأننا اجتزنا - كما تعلمون - سنوات عجاف ومع ذلك رأينا أن هناك سيولة من الخيرات المغربية ولكنها غير ظاهرة ونسميها السيولة الباطنية مثل بعض الأودية وبعض الأنهار الباطنية الخفية . وذلك الاقتصاد الخفي الباطن الذي لم يكن يرى ولم ترده الدولة ولم يكن يمكن للدولة أن تريده يوماً من الأيام، لا نريد أن نعرف ما هو ومن أين أتى ولمن يأتي لأن ذلك التيار الباطني أو غير المرئي هو الذي مكنتنا من أن نصبر مدة السنوات العجاف .





زد على هذا بالطبع ، أنه لدينا سياسية السدود التي أظهرت - ولله الحمد - أنها هي السياسة الوحيدة التي يمكن بها للمرء الواعي بمشاكل التغذية وبالإكتفاء الذاتي والواعي بمشاكل الديمغرافية أن يسير عليها . إن كل سياسة فلاحية اقتصادية لا تنبني على الري وعلى السدود وعلى جمع المياه هي سياسة بترء ولا تؤدي إلى نتيجة .

فما هي الأخطار التي تواكب عادة سنوات الجفاف؟ هناك بالطبع النقص في الإنتاج الفلاحي وفي الحبوب مثلاً . وبالنسبة للحبوب يمكن للدولة أن تشتريها وتبيعها بأثمنة مناسبة سواء تعلق الأمر بالشعير أو بالقمح .

ولكن هل الحاجة إلى الحبوب هي الخسارة الوحيدة التي تلحق الفلاحين؟ إن الخسارة التي تلحق الفلاحين هي من طبيعة مالية ، بحيث لا يحصلون على المدخول الذي كانوا ينتظرونه ، فتتقصر قوتهم الشرائية ولا يجدون ما يعيلون به أولادهم وعائلاتهم . فالمداخيل التي كانوا يعتمدون عليها لا يحصلون عليها .

فماذا يحدث إذن ، إنهم إما أن يبدؤا ببيع أرضهم قطعة بقطعة ، والكسب المتوسط منهم يبيع قطعاً كبيراً من ماشيته ، أما الذي ليس لديه إلا أرضاً صغيرة يسترزق منها هو وعائلته ، فإنه يتخلى عن كل شيء ويهاجر إلى المدينة ليثقل كاهل سكانها .

نحن لا نريد أن يقع أي شيء من هذا وإن كان إيماني شخصياً في الله وثقتي في رحمة الله كبيرين ، وكما يقول الحديث القدسي . . يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي - مروي عن النبي ﷺ «أنا عند ظن عبدي بي إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر» ؛ ولا زلت أظن الخير بالله سبحانه وتعالى قبل 15 فبراير عسى أن يسقي هذه الأرض .

كما جاء في القرآن الكريم - مرتين على الأقل - قول الله سبحانه وتعالى «كتب على نفسه الرحمة» ، والرحمة هنا بالنسبة لنا هي الماء ، فهو «اللهم اسق عبادك وبهيمتك وانشر رحمتك واحيي بلدك الميت» .

رغم هذا كله ، أعتقد شخصياً أن هناك عمليات لا يمكن للدولة أن تقوم بها وحدها من الناحية الإرشادية . بالطبع من ناحية المال والقروض سنطلب أن يؤجل تسديدها في بعض الأحيان . كما أن ما يتعلق بالكلاء للماشية وبذور السنة المقبلة هو من مسؤولية الدولة .

ولكن بقيت اليد العاملة كيف نشغلها؟ ففي وقت الحصاد مثلاً كنا كما يقولون «بالقنديل في النهار» نبحث عن عامل واحد وبأي ثمن كان فلا نجد . فهذا العدد من العمال الفلاحين يجب أن يشتغل ويجب أن يبقى ساكناً ومرابطاً في معاقله الفلاحية ويجب أن لا يخرج من ناحيته لإثقال المدن والزيادة في اكتظاظ سكانها . إذن يجب تشغيل هؤلاء ، ولكن ليس عن طريق المال الذي يجيء ويمشي هدراً ولا فائدة له ، بل التشغيل في ماسيقي وفي ما سينفع الناس ؛ أي التشغيل الحقيقي الذي يترك أولاً القوة الشرائية ويترك عملاً ينفع وينتفع به .

إنني أريد في اجتماعي معكم - وفقكم الله - أن أحثكم على أن تكثروا الاجتماعات مع الحكومة والأعضاء المعنيين في الحكومة ، وهذه تقارير جاءت من وزارة الفلاحة ووزارة الداخلية ، وكل واحد يتحدث عن الأموال التي رصدت للإعلامات في هذا المجال وعن برامج لأنشطة محلية . وهنا يجيء





دوركم كبرلمانيين ويحيى دور إخوانكم البرلمانيين الآخرين الذين ليسوا في لجنة الفلاحة لتجتمعوا على الصعيد المحلي إما على صعيد العمالة أو صعيد الجهة أو صعيد الجماعات القروية أو مجموعة من الجماعات القروية لتنظروا مع ولاتنا والمسؤولين في الإدارة إما في الفلاحة أو الأشغال العمومية أو الداخلية أو القرض الفلاحي أو غيرها في ما يمكن أن تخلق من أنشطة عملية لا تسمى أنشطة لمحاربة البطالة بل أنشطة لتكميل الأجهزة الفلاحية السقوية الموجودة في كل ناحية . وهذا - أظن - ليس من الصعب ولا بالمستحيل .

فكيفما كان الحال ، نحن جميع الفلاحين في هذا الباب سواء . المصيبة حلت بنا جميعا نحن الفلاحين - أقول نحن - لأنني واحد منكم . فيتعين على المجتمع المغربي برمته أن يعرف أنه إذا كان الفلاح مريضا ؛ فإن المجتمع المغربي مريض ، إذن يتعين على جميع المواطنين الذين لديهم نشاط اقتصادي كيفما كان نوعه أن يعرفوا أن نشاطهم الاقتصادي أو الصناعي مرتبط ارتباطا وثيقا بالحالة الفلاحية .

لماذا؟ لأن مستهلكي بضائعنا هم سواد هذه البلاد ، هم الفلاحون . فالذي ينتج الثوب حين يكون الكساد لا يبيع ثوبه . ومن ينتج الجلد إذا كان الكساد لا يبيع إنتاجه ، لأن السروج لا تصنع - ولا أتكلم عن الذي يخيط السرج أو يعمل السلاح . وبالنسبة للدرار تنقص حفلات الأعراس وغيرها ، وبالتالي ، لن يكون هناك رواج لإنتاجه . وحتى الذي يقوم بإصلاح التلفزيون فنشاطه مرتبط بالقوة الشرائية للفلاح لأن التلفزيون دخل اليوم جميع البيوت ؛ ويكفي أن ينظر الإنسان إلى سطوح المنازل بل حتى لبعض « النوايل » ليرى أن الهوائيات منتشرة في كل مكان .

وهكذا ؛ فإن كل منتج بالمغرب وإن لم يكن منتجا في مجال الفلاحة هو مرتبط بالقوة الشرائية للفلاح . كما أن رأس المال الكبير الذي لا قيمة له - لأنه فوق كل قيمة - هو أن يبقى كل ذي شغل في محل شغله وألا يتراكم المدني على البدوي وأن يبقى المجتمع - ولله الحمد - صابرا صبر المؤمن - وليس صبر المستسلم - قانعا بما آتاه الله وقانعا بما يمكن أن يتوصل به من أجهزة الدولة الرسمية وشبه الرسمية .

فإذن ؛ أنا أدعوكم على جميع المستويات المحلية في المغرب ، ومن الآن ، أن تتمعنوا بموظفينا وولاتنا من جميع الوزارات المختصة والتي لها صلة بالفلاحة ، ونحاول أن لا ننظر فقط في كيفية توزيع الشعير أو القمح أو العلف ، وفي ماذا سيعمل في مجال القروض وتأجيل تسديدها ؛ بل أن ننظر كذلك في وسائل تشغيل اليد العاملة التي كانت تذهب للحصاد .

وإذا كان هناك مال سيعطى ، يجب أن يعطى لكي تحفر « الخطاطر » وأنا عندي تجربة مهمة في « الخطاطر » بناحية مراكش . فقد كانت هناك بعض أراضي لا يصلها الماء نهائيا . ومع الأسف « الخطاطرة » لن يعودوا موجودين رغم أن « الخطاطر » موجودة عندنا في المغرب كله وليس في هذه الناحية فقط . . . ولما وجدت إثنين من « الخطاطرية » ممتازين ، بدأ الماء منذ أربع سنوات يجري في الساقية الخاصة بي رغم عدم هطول الأمطار . إذن ، فالمسألة مسألة « خطاطرية » ومسألة معلمين . وجربوا . « فمن الواد الصغير يحمل الواد » وإياكم أن تستصغروا أي عمل ، فكل عمل صغير تضاف له أعمال صغيرة يعطي نتائج كبيرة . ويجب أن نكون في مستوى ذلك الفلاح الصغير ونعتبر أن مشكلته هي مشكلتنا ، لأننا نحن يمكن أن نرى في مشكلة الفلاح الصغير مجرد مشكلة صغيرة ، ولكن بالنسبة له هو فهي مشكلة المشاكل . فإذا - الله سبحانه وتعالى - سيعطينا المطر لأنه « هو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا





وينشر رحمته». ولكن علينا كذلك أن لا نترك الناس يأسون، كل واحد منافي ميدان إمكاناته وفي ميدان مسؤولياته.

فعليكم بالحوار ثم الحوار؛ وعليكم بالعمل المشترك، بقطع النظر عن التيارات السياسية والنقابية. أنتم جميعكم - أبناء هذه الأرض التي لم تعرف الماء اللازم لريها وهي تناديكم وتنشددكم - وهي التي أطعمتكم سنين - أن تخدموها أكثر بأقصى جهدكم في هذا الظرف، لأن هذه الأرض محتاجة إليكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

إثر ذلك تدخل ثلاثة نواب أعضاء باللجنة فعبروا عن اعتزازهم بالمقابلة التي خصهم بها صاحب الجلالة الذي هو. (على دراية بواقع البلاد أكثر من أي أحد).

وأكدوا أن عملية جلب الحبوب وكلاً الماشية عملية سهلة ستمكن صغار وكبار الفلاحين من التوفر على الكلاً اللازم.

وذكر المتدخلون بفترة الجفاف التي شهدتها المغرب سابقاً والتي كان فيها مع ذلك المحصول الزراعي جيداً، مشيرين إلى أن وضعية الماشية هي حتى الآن وضعية حسنة، ذلك أن شهر أكتوبر الماضي عرف بعض التساقطات المطرية. وقالوا إن الماشية تحتاج إلى التغذية مستقبلاً إذا لم تتساقط الأمطار.

ثم خاطب جلالتهم، من جديد، أعضاء اللجنة بكلمة قال فيها:

«أشكركم كثيراً على تدخلاتكم، وأقول لكم أنني أولاً إنسان متفائل وكنت دائماً أقولها، وكنت أخشى أن أكون وحدي متفائلاً، ولكن لست - والحمد لله - وحدي متفائلاً.

وأريد أن أقول أمرين؛ الأول هو أنه لا بأس من أن نستكمل الاجتماع الذي عقدناه اليوم - فيما بعد - في البرلمان في لجنة الفلاحة مع الوزراء أو رؤساء المصالح المختصة وهم موجودون معنا هنا. وبهذه المناسبة، هناك شخص لا ترونه كثيراً وأنا كذلك لا أراه كثيراً ولكن عمله متواصل ومتواضع.

وباتصال مباشر معكم ألا وهو السيد الحداوي رئيس صندوق القرض الفلاحي - جزاه الله خيراً - على ما يعمل وأزيد من تشجيعاتي له لكي يزيد من عمله.

والأمر الثاني الذي أريد أن أقوله لكم هو بشرى بالنسبة لكم - أنتم أناس الفلاحة - فكما قررنا خوصصة عدة مؤسسات كانت بين أيدي الدولة.

والآن قررنا خوصصة شركة «كوماكري» التي لها على ما أعتقد ما بين 7000 و 9000 هكتار في المغرب كله. وفي القريب - إن شاء الله - بعد تقويمنا لها وهو ما نحن بصدد الآن ستكف الدولة عن نشاطها في ميدان الفلاحة وتربية المواشي.

ويكفي أن تكونوا في المستوى - كل حسب الجهة التي هو فيها - وهيؤوا المال والعقول والرجال الذين سيأخذون هذه الأراضي وستكون الدولة سعيدة جداً وهي تأخذ من نفسها وتعطيكم أنتم. علماً مني وأنا واثق من ذلك، أن الفلاح الذي سيعمل في هذه الأراضي سيعطي نتائج أحسن بكثير مما كانت تعطيه الإدارة، شريطة أن يكون فلاحاً في المستوى، ولكن أنا مطمئن، وأعلم بأنكم في المستوى.

لذا، فابتداء من شهر أبريل سترجع لكم هذه الأراضي، فبرهنوا عن كفاءتكم ومقدرتكم خلال الموسم الفلاحي المقبل إن شاء الله».

6 شعبان 1412 هـ - 11 فبراير 1992 م